


# في سبيل المهنة سرق وثائق واختبأ ليلة في حمام وفتش في سلال المهملات زهير عسيران: قمت بفتوحات صحافية لكني اضطررت الى إغلاق جريدتي


زهير عسيران الصحافي السعيد (علي علوش

المؤلف: عواد مايسة

التاريخ: 10-12-2005
رقم العدد:10268

يستقبلك بضحكة »مسهبة« مسحوبة من أعماق الحنجرة والقلب، وعلى رنين مثلها يودعك. تلفت زائره دروع نقابة الصحافة وتمثال نصفي للراحل رياض الصلح في صالة الاستقبال في منزله، لكن ما يلفت أكثر طغيان القصص الشيقة على أجوبة نقيب الصحافة السابق زهير عسيران، التي تستعيد أحداثا من مخزون أثرته سنوات في عالم الصحافة والسياسة... ومع ان تاريخ ميلاد النقيب السابق يعود الى عام 1914 إلا انه ما زال محافظا على ذاكرة »حكواتية« حادة، ضحكة مجلجلة و... مزاج غزلي »بِرَهن« ساعة يده التي حرص على عدم تجاهل عقاربها كي يعود زوجته في المستشفى. النقيب عسيران الذي يكرمه معرض بيروت العربي الدولي للكتاب في بيال غدا، لا يتردد أبدا في الحديث عن مواقف حادة امتزجت فيها الأحداث السياسية بالخبطات الصحافية التي هزت لبنان، العالم العربي والعالم، فهو الصحافي الذي كان وراء كشف فضيحة بيع أراض لبنانية الى اسرائيل، وهو أول صحافي في العالم دخل اليمن بعد الانقلاب واغتيال الإمام يحيى حميد الدين، للحديث حول أبرز محطات حياته، وزمن »السرقة الصحافية المشروعة«، كان لنا معه هذا اللقاء. تكريمك غدا يأتي بعد امتهانك حياكة المهمات الاعلامية والسياسية لما يزيد على أربعين عاما. فما هو السر الذي ضمن نجاحك واستمراريتك طوال هذه السنوات؟ ؟
عندما كنت شاباً كان على الصحافي الناجح ان يكون نشيطا، ذكيا، يعرف كيف يستغل الأحداث، بينما جيل اليوم يتكل على التلفاز والانترنت. أستطيع ان أروي الكثير من القصص التي لا يصدقها العقل، لقد قمت بفتوحات في عالم الصحافة، فبعد مقتل الإمام يحيى حميد الدين في اليمن تطوعت كي أكون مندوبا خاصا هناك، ومع ان محمود أبو الفتح صاحب جريدة »المصري« استغرب مني تعريض نفسي للخطر لكنني قلت له: »أنا مستعد«، وفعلا أخذت طيارة خاصة لعدم توفر غيرها آنذاك وحططنا بداية في مطار جدة، حيث قال لي أحدهم إن الملك يريد ان يقابلني قبل ذهابي. يومها، حذّرني من الخطر الداهم، لكنني أجبته بأن مهمة الصحافي هي ان يغامر. أذكر انني ذهبت متسلحا برسالة خاصة من الحاج أمين الحسيني مكتوب على مغلفها الخارجي »إلى الإمام عبد الله الوزير« الذي قام بالانقلاب، أما الرسالة في الداخل فكتب عليها »جلالة الامام« فقط، تحسبا لأي انقلاب جديد. جمعت كل الأخبار في اليمن لكني كنت في حاجة الى أخبار المعارضة، وأفصح لي محمد الشامي المقرب من الإمام عبد الله الوزير، ان الانقلابيين لحقوا بالملك الذي كان يخبئ الذهب في مغارة وقاموا بقتله ونقلوا كميات الذهب والمال. كنت لا أستطيع ارسال

هذه المعلومات الخطيرة من اليمن، فلجأت الى جزيرة كامران القريبة الخاضعة للسيطرة البريطانية آنذاك، وقمت بإرسال ما عليّ إرساله، إلا أنه في صباح اليوم الثاني وبعد عودتي الى اليمن، أخبرني الشامي ان الملك طلب من معاونيه إحضاري وأن مصيرا أسود في انتظاري فهربت نحو جدة. من يراجع سيرتك المهنية يلاحظ انك لم تتردد في استعمال المال، العامل الديني وحتى التمثيل كي تحصل على المعلومات، فهل يبرر السبق الصحافي تجاوز أخلاقيات المهنة؟ ؟ أية أخلاقيات؟! الصحافي الذي لديه أخلاق هو الذي لا يهين الأشخاص، لكن بإمكانه ان يسرق كل شيء، سرقة الوثائق هي سرقة مشروعة خصوصا إذا كانت تفيد الناس (!). هناك ما هو »أخطر« من حادثة اليمن، فعندما كان هناك خلاف عنيف بين لبنان وسوريا بعد الاستقلال، وقرر خالد العظم القطيعة بين لبنان وسوريا، أراد رئيس الوزراء السوري جميل مردم ان يحل الأزمة، جرى اجتماع في القاهرة وتم التوقيع على اتفاق جنتلمان ينهي المشاكل. أتى محمد علي حمادة أمين عام الخارجية وتلا نص البيان أمام الصلح الذي تنبه الى وجودي فأقسمت بالله العظيم ألا أكتب الخبر، وألا أذهب الى جريدة المصري، لم يطمئن رياض الصلح وطلب من تقي الدين الصلح مراقبتي. تظاهرت أني نائم لكنني استيقظت في الثانية صباحا وبادرت الى الاتصال بصاحب جريدة »المصري« الذي وضع خبر انتهاء الخلاف اللبناني السوري على الصفحة الأولى. في اليوم التالي ثارت أعصاب الصلح عندما أفاق على الخبر، لكني بادلته بالقول: لم أنكث بالقسم، فأنا لم أكتب الخبر ولم أذهب الى الجريدة!، عندها تمنى لي التوفيق وقال: »أنت صحافي ناجح روح الله يوفقك«. اختفى كل شيء انتسبت الى الحزب القومي العربي السري عام 1938، والى حزب النداء القومي عام 1942. هل ما زال من الممكن اليوم الحديث عن قومية عربية؟ ؟ لم يعد هناك لا قومية عربية ولا قومية إسلامية، اختفى كل شيء. جيلنا كان يثور ويقوم بالتظاهرات، اليوم لا تنزل الجماهير الى الشارع لنصرة هذه القضايا دون عصا او دون ضغط. كنا نخاطر بأرواحنا كي ننشر جريدة »علامة استفهام«، بعد اعتقال الحكومة الشرعية أيام الانتداب، وتابعنا إصدارها رغم قرار إعدام كل صاحب مطبعة تقوم بطباعة هذه الجريدة. اعتقلت مرات عديدة نتيجة لمواقفك السياسية أثناء وبعد الانتداب، وتعرضت لعدة محاولات قتل، فما الأثر الذي يتركه كل ذلك في قلم الصحافي؟ ؟ الصحافي »القبضاي« يعرف أنه سيهاجم، ولكنه لا يخاف، تعرضت الى الكثير من المحاولات للقضاء على حياتي إلا أن الله أنقذني، هذه المهنة اسمها مهنة المتاعب وإذا كان المرء سيخاف عليه ألا يقرر ان يصبح صحافياً بالأصل. كنت أتخطى كل العواقب كي أقوم بعملي، فكنت أتفق مثلا مع العامل في رئاسة الوزراء ليحضر لنا سلة

المهملات وكنت أقوم بجمع الأوراق الممزقة الصغيرة التي كتب عليها المجتمعون أفكارهم كي أعرف ما هو الخبر. إضافة الى هذا كنت أحتاط مسبقاً فعند اجتماع شكري القوتلي وبشارة الخوري في شتورة كان ممنوعاً حضور الصحافيين فذهبت قبل يوم الى مكان الاجتماع وبت ليلتي مختبئا في الحمام، وبقيت هناك، أثناء الاجتماع ذهبت الى المطبخ وظللت أسأل الشاب الذي يقوم بخدمة المجتمعين عن الذي يسمعه لدى دخوله وخروجه حتى أصبحت لدي معطيات خبر كامل، بالطبع غضب المجتمعون كثيرا، ولم يصدقوا ماذا حدث، لكنني نقلت المعلومات التي عليّ نقلها. كنت صاحب ورئيس تحرير جريدة الهدف التي حققت انتصارات صحافية كبيرة، أهمها كان كشف بيع أراض لبنانية الى شركة عقارية يهودية. إلا أنك لم تستطع الحفاظ على ملكية »الهدف« لأسباب مادية. فما هو شعور الصحافي عندما يخسر ملكية جريدة بنى اسمها وارتبط بها؟ ؟ خسارتي »الهدف« فخر لي لأنه لم يكن لدي مال، كوني لم أكن أتقاضى المال. الصحافي السعيد برأيي هو ذاك الذي »يقبض« من الجهة التي تتناسب وميوله. أنا نفسي كنت أسعى الى المحافظة على خط وطني شريف، إذا أتى رياض الصلح ودفع لي أمرٌ، أما إذا أعطاني العدو مالا فهذا أمر آخر لا يجوز حدوثه. عندما أنظر اليوم الى الصحف أرى أنها تنقل البندقية من كتف الى آخر بسهولة، هذا غير مقبول أيضا. أرض المنارة التي يقصفنا منها الاسرائيليون اليوم كانت لبنانية، وكي أكشف بيعها الى اليهود ذهبت الى حيفا حيث مركز بيع العقارات، وادعيت ان لي مالا بذمة الاشخاص المعنيين بالصفقة ولما رفض المسؤول هناك إعطائي إياها قمت بدفع المال إليه، وعدت الى جريدتي مع نسخة عن العقد. ضللنا نطبع أعداداً من »الهدف« مدة 24 ساعة متتالية عندما نشرنا الوثيقة. كدت أفقد حياتي ثمنا لما فعلت.

اغتيال بعد اغتيال رياض الصلح حاولت تصفية من لم يقف حدادا على الراحل بالتعاون مع المنظمات الفلسطينية، فهل يحق للصحافي إعطاء أوامر بالقتل؟ وما سر تعلقك هذا برياض الصلح. ؟ أنا وطني ثم صحافي، »انقهرت« كثيرا بعد اغتيال رياض الصلح الذي كنت متعلقا به كونه لطيفا، ذكيا وعندما كنت جاره في رأس النبع كانت الدنيا تقوم ولا تقعد احتجاجاً على اعتقاله أو دعماً لمواقفه. عندما طلب رئيس المجلس النيابي السوري ناصر القدسي الوقوف ثلاث دقائق حداداً على الصلح لم يقف كل من: رئيس الحزب القومي السوري عصام المحايري، أكرم الحوراني، اضافة الى أكرم البني. يومها اتخذت قرارا بمحاولة اغتيالهم. لجأت الى من ظننت أنه سينفذ المهمة هذه، امرأة ظننت أنها مخلصة كانت تذهب دوماً إلى سوريا، إلا انها أخذت المال ولم تنفذ الخطة. في نهاية الأمر، راحت هذه المرأة تهددني بفضح كل شيء فهربت الى نيجيريا. واحتميت عند أخي. تقول في

كتابك »زهير عسيران يتذكر« إن المخابرات الاميركية عرضت إعادة الامام موسى الصدر مقابل نسف خمس سفارات ليبية في انحاء العالم وخطف طائرات، لماذا توقفت متابعة قضية الإمام مع الاميركيين؟ ؟ باعتقادي الشخصي ان معمر القذافي قام بتصفية الامام موسى الصدر ورفاقه فورا، لأن الإمام، بحسب معلوماتي، بدأ بمناقشته في مضمون الكتاب الأخضر فغضب القذافي وقال لأحد الضباط الموجودين: »خذهم من وجهي وصرّفهم«، فظن الضابط ان صرّفهم يعني أقتلهم. الشخص الذي أوصل طلب المخابرات تكلمت معه شخصيا عندما كنت في أحد أسفاري في أميركا الجنوبية، عندما أبلغني الطلب قلت له إن طائرة ليبية اختطفت دون »متّتكم« وأننا قمنا بواجبنا كعرب ولكن إذا كانوا يملكون معلومات عن الإمام فعليهم هم ان يقوموا بخطوة ما. اعتقد ان الامام موسى الصدر تمت تصفيته فورا، وأن الشخص الذي قابلته من المخابرات الاميركية كان كاذبا ويستغل الظروف ليحصل على ما يمكن استعماله في ما بعد للابتزاز. هناك من انتقد شهادتك حول الأحداث التي سبقت إعدام انطون سعادة والتي وردت في برنامج على قناة »الجزيرة« مخصص للحديث عن رياض الصلح. ؟ كنت مع نور الدين رفاعي وفؤاد شهاب عندما أحضروا أنطون سعادة، استنتجت من حديثهم ان حسني الزعيم اشترط عليهم قتله ومن ثم القول انه حاول الهرب قبل الوصول الى لبنان، عندما سمعتهم يناقشون الفكرة هذه استأذنتهم كي أذهب الى المرحاض لكني اتصلت برياض الصلح الذي قال لي: »ما بينمس شعرة من راسو قبل ما يجي على بيروت«، وفعلا حاكموه، لكنها كانت محاكمة متسرعة. حبيب أبو شهلا روى لي ان حسني الزعيم اتصل بالملك فاروق كي يوصل بدوره التهديد الى بشارة الخوري في حال لم يعدم سعادة، لأنه خاف ان يفضح سعادة وعده له بارسال 3000 جندي سوري بثياب مدنية للقيام بانقلاب في لبنان.




## الكلمات الدالة

لبنان | الصحافيون | عسيران زهير | المقابلات